المحاضرة الرابعة: علاقة علم السكان بالحقول المعرفية الأخرى(1)

تمهيد: تسمح لنا دراسة السكان بمعرفة الكثير على المجتمع، في نموه و تقهقره، وفياته، معدلات الزواج، الهجرة منه و إليه.....غير أنّ الحاجة لتفسير تلك الحقائق، تجعل الديمغرافي بحاجة للاستعانة بالعديد من الحقول المعرفية ك: الاقتصاد، الجغرافيا، البيولوجيا، العلوم السياسية، علم الاجتماع.....كما يساعد هو الآخر كذلك، في تفسير المعلومات الواردة إليه من التخصصات الأخرى، الأمر الذي يتيح إمكانية الارتقاء بالقدرة على إدراك جوانب التغير الحاصل في المجتمع، كما سنقف على بعض ملامحه في الاستعراض الآتي:

أولاً: علاقة الديمغرافيا بالعلوم الاجتماعية: يتمتع علم السكان بروابط وشيجة مع جل العلوم الاجتماعية، و التّي تتقاطع جميعها عند محاولة فهم مقدار التغير الطارئ على الظاهرة السكانية(وفاة، هجرة، خصوبة، التركيب السكاني.....) و اتجاهاته.....وذلك تحت ضغط مجموعة الظروف و المتغيرات التّي تحيط به في حياته اليومية، ك:الجماعة، المكان، الإنسان، العادات، التقاليد، الدين.....

1- علاقة الديمغرافيا بعلم الاجتماع: تتميز العلاقة بين علم الاجتماع و دراسة السكان بطبيعة خاصة، و ذلك رغم كون الدراسات السكانية تعد أقدم من علم الاجتماع، و أنّها ظهرت و نمت من أصول متنوعة، إلاّ أنّها أصبحت اليوم أكثر ارتباطا بعلم الاجتماع دون سواه من العلوم.

- موضوع دراسة علم الاجتماع هو المجتمع من حيث بنائه و تغيره، و حيث أنّ السكان يشكلون العنصر الأساسي في المجتمع، فإنّهم بالتالي يدخلون في دائرة اهتمام علم الاجتماع.

- يعتمد علم الاجتماع في تحليله للظواهر الاجتماعية على المعطيات الديمغرافية و المتغيرات السكانية، و يستفيد بها على المستويات المتباينة و خاصة الأسرة و المدينة، و جماعات الأقليات و الطبقات الاجتماعية، و التدرج الاجتماعي و النسق السياسي و النظام القيمي و المكانة الاقتصادية و الاجتماعية، و ما إلى ذلك من مواضيع تقع في بؤرة اهتمام علم الاجتماع.

- تحليل و دراسة العلاقة بين الظواهر السكانية و الظواهر الاجتماعية، يثري علم الاجتماع و يساعده على الوصول إلى قدر عالي من التعميم و تجريد المعطيات و الوقائع، مما يؤدي إلى تطوير نظرية علم الاجتماع. كما استفاد علم السكان كثير من علم الاجتماع، حيث حرص هذا الأخير على توفير الشروط النظرية و المنهجية لعلم اجتماع السكان، و تثبيت دعائم استقلاله و تميزه عن مجموعة النظم الفكرية الأخرى، و ذلك من خلال توفير القضايا الإمبريقية و الاستقرائية عن المتغيرات السكانية و الاجتماعية، و تمكينه من الاستعانة بمناهج و أدوات البحث الاجتماعي في دراسته للظواهر السكانية[1].

2- علاقة الديمغرافيا بعلم النفس: ترجع علاقة الديمغرافيا بعلم النفس إلى عقود طويلة مضت، و ذلك حينما لجأ **كينز** للاعتماد في تفسيره للعوامل المتحكمة في تحديد شقي الطلب الكلي الفعال(أي الطلب على الاستهلاك و الطلب على الاستفسار) إلى التحليل النفسي لسلوك

---

1 - عبد الجواد مصطفى خلف، علم اجتماع السكان، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2009، ص16-17.

المستهلكين و الرأسماليين، و لم يلجأ إلى القوانين الاقتصادية التّي تظهر في مجال الإنتاج و التوزيع، حيث أدعى" **أنّ النّاس يميلون إلى زيادة استهلاكهم كلما تزايد دخلهم، و لكن ليس بنفس الكمية التّي يتزايد بها الدخل"**، و هو القانون الذي رأى أنّه ذو صلاحية مطلقة باعتباره متصل بالطبيعة الإنسانية[2]. و لم يتوقف هامش التعاون عند هذا الحد، حيث أبدى العديد من علماء النفس في السنوات الأخيرة، اهتمام متزايد بمعالجة عدد من المواضيع ذات الارتباط الوثيق بالسلوك الديمغرافي، و التّي من بين أكثرها تناولاً نذكر عمليات تحديد النسل، و ذلك رغم كونها مسألة ديموغرافية بحتة، حيث حاول الكثير من المهتمين و الدارسين لهذا التخصص، معرفة الدوافع التّي تصنع الفوارق في استجابات الأفراد، فتدفع البعض إلى كثرة الإنجاب و بعضهم الآخر إلى قلته[3].

3- علاقة الديمغرافيا بالأنثروبولوجيا: يتسم مجال الأنثروبولوجيا بالشساعة، جراء تناوله ظواهر كثيرة و متنوعة تتصلب الإنسان، مما أدى إلى تشعبه إلى عدّة فروع معرفية، أبرزها **الأنثروبولوجيا الطبيعية** و التّي تدرس المواصفات الطبيعية للإنسان، و كذا **الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية** و التّي تهتم بالإنسان بوصفه ظاهرة اجتماعية، لها نمط معين في المعيشة و السلوك و العقائد و التقاليد[4].

و هي المعطيات التّي بات يستفيد منها علماء السكان في بعض دراساتهم، و لاسيما ما تعلق منها بالبحث في الأصول السلالية و الثقافية لسكان مجتمعات معينة، و لقد تمخض عن ذلك ما بات يعرف بتمييز العنصر و التفاوت في الخصائص النوعية لبعض السكان دون غيرهم. و من أمثلة ذلك الجهود التّي بذلها نفر من العلماء لدراسة التغيرات النوعية و السلالية التّي تطرأ على السكان تحت تأثير الهجرة و الانعزال، و الذين يأتي على رأسهم: وانجرWanger، راتزلRatzel، ليو فروبينوسFrobeninus Leo، بينا ردي لا بولاي، فويFoy، انكرمانAnkermann.....و الذين قسم بعضهم سكان العالم على أساس دوائر و مناطق ثقافية و أثنولوجية، على نحو ما فعل راتزلRatzel، ليو فروبينوسFrobeninus Leo، بينا ردي لا بولاي، و الذين حاولوا إيضاح العلاقات المكانية و الإقليمية بين مختلف الأجناس البشرية، كما حاولوا إثبات وجود علاقات أساسية بين هذه الأجناس، تساعد على معرفة الثقافة الأصلية و الحياة الفكرية الأولى لأقدم السلالات، كما توضح العلاقات الزمانية بين الثقافات المتعددة المنتشرة بين السكان في مختلف القارات[5].

ثانياً: علاقة الديمغرافيا بالإيكولوجيا و الجغرافيا: كما يرتبط علم السكان بعلاقات متميزة بكل من الإيكولوجيا و الجغرافيا، من خلال حاجته الماسة إلى إدراك طبيعة المكونين البيئي و البشري، و الذي نوضحه في الشرح التالي:

---

2 - رمزي زكي، المشكلة السكانية و خرافة المالتوسية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1984، الكويت، ص123.

3 - طارق السيد، علم اجتماع السكان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2008، ص22.

4 - منير إسماعيل أبو شاور، أمجد عبد الهادي مساعدة، دراسات في الجغرافيا الديمغرافية، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص125.

5 - مصطفى عمر حمادة، الأنثروبولولجيا و التنمية السكانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2012، ص60.

1- علاقة الديمغرافيا بالإيكولوجيا: ترتبط الإيكولوجيا ارتباطا ويا بقضية السكان، و ذلك لأنّ الزيادة السكانية المتسارعة لها دور كبير في فهم الكثير من المشاكل الإيكولوجية المطروحة، إذ أن تلك الزيادة ترفع من سرعة استنزاف الموارد، و تزيد من حدّة الصراع على مساحات الأراضي المزروعة[6]، كما تتسبب في ارتفاع معدلات التلوث، جراء التضخم المسجل في حجم النفايات المنزلية، و تزايد استخدام وسائل النقل مما يؤدي لتصاعد حجم التلوث الهوائي.

2- علاقة الديمغرافيا بالجغرافيا: تنقسم الجغرافيا اصطلاحا إلى حقلين معرفيين، و هما **الجغرافيا الطبيعية** و التّي تركز جل اهتماماتها على دراسة مظاهر سطح الأرض الطبيعية ك: السلاسل الجبلية، الأنهار.....و **الجغرافية البشرية** أو جغرافيا السكان كما يسميها البعض، و التّي ظهرت مع حلول القرن العشرين، مع توسع اهتمام الجغرافيا إلى العنصر البشري و نشاطاته و مظاهر ذلك على سطح الأرض[7]، حيث باتت تهتم بحسب الجغرافي الانجليزي **كلارك**، بتحليل التباين و الاختلافات المكانية لتوزيع و تركيب و هجرة، ونمو السكان وعلاقتها بالبيئة الطبيعية، في حين ترى الجغرافية الفرنسية Beaujeu Garnier بأنّها تعني بدراسة الحقائق و الخصائص الديمغرافية في بيئتها.

هذا المعنى يجعل منها تهتم أكثر بالجانب التحليلي للظاهرة السكانية، و ذلك بهدف تحديد أثر الإطار المكاني على عملية النمو السكاني، و توضيح مختلف العوامل التّي تحكم علاقات السكان داخل هذا الإطار، و ذلك من خلال تحديد مراحل هذا النمو و إيضاح مدى ارتباطها بالظروف الجغرافية السائدة، و كيفية تأثيرها في توزيع السكان تركزا و تشتتا، معتمدا في ذلك على التحليل الرقمي الذي توفره الديمغرافيا كأساس و قاعدة لتحليلاته. كما تعد دراسة **الهجرة السكانية** من أبرز ملامح الارتباط بين العلمين، وذلك لأنّ الهجرة ظاهرة ديموغرافية تتحكم فيها مجموعة متنوعة من العوامل، و التّي تتطلب في قراءتها و استشعار أهميتها أساسا إحصائيا توفره الديموغرافيا، و في تحليلها أساسا جغرافيا تفسر من خلاله أسباب الوفود و دوافع النزوح. كما تعني العلاقة القائمة بين العلمين بدراسة **مستقبل السكان و تخطيط مواردهم**، حيث تعد في هذا الإطار الجغرافيا من أقدر التخصصات في مجال التخطيط، و ذلك عن طريق تحديد اتجاه النمو السكاني داخل رقعة إقليم ما، معتمدة في ذلك على دراسة الظروف التّي تؤدي إلى توفر عوامل الجذب و الطرد به[8].

---

6 - طارق السيد، مرجع سابق، ص24.
7 - فراس البياتي، مورفولوجيا السكان، موضوعات في الديمغرافيا، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2009، ص29.
8 - الشمري عماد مطير، الجغرافيا السكانية: أسس و تطبيقات، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص 12-13.